المبحث الأول: مفهوم الحكمة

أولا: الحكمة لغة:

وردت مفاهيم كثيرة لكلمة الحكمة في معاجم اللغة العربية، نورد منها:

1. معجم العين (ت 175 هـ):

الحكمة: مرجعها إلى العدل والعلم، والحلم. ويقال: أحكمته التجارب إذا كان حكيماً. واستحكم الأمر: وثق. واحتكم في ماله: إذا جاز فيه حكمه. وكل شيء منعته من الفساد فقد حَكَمْتَهُ، وحكّمته، وأحكَمته، وسمّى الأعشى القصيدة المُحكَمة حكيمة في قوله:

وغريبةٍ تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليُقالَ من ذا قالــها (الفراهيدي،1981)

2.معجم لسان العرب (711 هـ):

فالحكم: العلم والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر حكم يحكم. قال ابن سيده: الحُكمُ القضاء، وقد حكم عليه بالأمر يحكُمُ حكماً وحُكومةً وحَكَمَ بينهم كذلك. قال النابغة:

وأحْكُمُ كحُكم فتاة الحيِّ، إذا نظرت إلى حَمَامٍ سراع وارِدِ الثَّمَدِ

والمحكم، بفتح الكاف، الذي في شعر طرفة، إذ يقول:

ليت المُحكَّم والموعوظ صوتكُما تحت التُراب، إذا ما البَاطِل انكشفا

فهو الشيخ المجِّرب المنسوب إلى الحِكمة. والحِكمة: وهي العدل. ورجل حكيم: عدل حكيم. وأحْكَم الأمر: أتقنه. والحكيم: المتقن للأمور (ابن منظور، 1993).

3. المنجد في اللغة والإعلام:

حَكَمَ حِكْمَةً: صار حكيماً. أحْكَمَتْه التجارب: أي جعلته حكيماً. الحِكمة: جمع حِكَم، وهو الكلام الموافق للحق. وأحكم الشيء: أتقنه. واحتكم الأمر: وَدُّق. واستحكم الأمر: تمكن، وصار محكماً متقنا. (المنجد في اللغة والإعلام، 2003).

4. المعجم الوسيط:

حكم بالأمر حُكماً: قضى. يقال: حكم له، وحكم عليه، وحكم بينهم. وحَكُمَ حُكْماً: صار حكيماً. وحاكَمهُ إلى الله تعالى والى الكتاب والى الحاكم: خاصمه ودعاه إلى حُكْمِهِ. والمُذنب: استجوبه فيما جناه. والمُحكم: المُتقن. ومن القرآن: الظاهر الذي لا شبهة فيه ولا يحتاج إلى تأويل (مصطفى، 1972).

5. القاموس المحيط (ت 817 هـ):

الحُكم بالضم: القضاء، جمع أحكام، وقد حكم عليه بالأمر حُكماً وحُكومة. والحِكمة بالكسر، العدل، والعلم، والحِلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل. وأحكَمته: أتقنه فاستحكَم، ومنعه من الفساد (الفيروز آبادي، 1999).

6. تاج العروس :

قيل الحِكمة: إصابة الحق بالعلم والعدل، وقد وردت بمعنى الَحلم (الزبيدي، 1994). ومن هنا يظهر لنا أن المعنى المحوري للحِكمة (بالكسر): هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، معرفة جامعة متقنة. والحُكم (بالضم) مصدر حَكَم، بمعنى قَضى وفصل، وبعضه بمعنى الحِكمة (جبل، 2010).

ثانياً: الحكمة اصطلاحاً:

الحكمة هي العلم والحلم، والعدل في القضاء ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، يفصل بها في الخصومات، وتدار بها الأزمات، ويعيش في ظلها الناس في أمن وأمان. ومن خلال تتبع مفهوم الحكمة في الكتاب والسنة تبين لنا أن ثمة مصادر عديدة للحكمة: ٠

1/ القرن الكريم: قال تعالى: ﴿**الرۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ (سورة هود،الآية1)٠ وقال تعالى: ﴿**هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (سورة الجاثية، الآلية **99**) .

2/السنة النبوية: قال تعالى: ﴿**وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ (سورة البقرة،الآية 151).أي السنة،وهي اتباع ماجاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ ذلك لأنه يوحى إليه من ربه. قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ (سورة النجم، الآيتان **3**–**4**) فهي السنة الهدى وسنن الأعمال والأخلاق والأحوال.

3/العلم: فقد أمرنا الله عز وجل بالعلم وتعلم كتابه وسنة نبيه. قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة الزمر، الآية **9**).

وقد جعل الله عز وجل طريق العلم موصلا إلى الجنة. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

"ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة" (مسلم، 2008) . والحكمة هي العلم النافع الصالح وسمي حكمة؛ لأن العلم والعمل قد تعلقا بمتعلقهما وأوصلا إلى غايتهما، ولذلك لا يكون الكلام حكمة حتى يكون موصلاً إلى الغايات المحمودة،

والمطالب النافعة، فيكون مرْشِداً إلى العلم النافع والعمل الصالح، فتحصل الغاية المطلوبة (ابن القيم الجوزية، 2008).

4/الخبرة: قال الليث"الخبر ما أتاك من نبإ عمن تسخبر. والخِبر والخُبر والخِبرة والخُبرة والمَخبَرة والمَخبُرة كله: العلم بالشيء. وليس في القرآن من التركيب ما يخرج عن الخُبر والخَبَر والأخبار والخبير بمعنى العلم بالحقيقة" (جبل، 2010).

من هنا نلاحظ أن الخبرة تعد مظهراً من مظاهر المعرفة، فهي المصدر الأساسي عند الفلاسفة لا سيما أنهم يقرون أن الحكمة إنما هي مكتسبة من مجموع الخبرات والتجارب التي يمارسها الحكيم سواء أكانت شعورية، بمعنى تربوية نفسية وهي وعي العالم المحيط به، أم خبرة ماضية وهي وعي لما كان قد حدث في الماضي.

فالخبرة هي التجربة الحية الناتجة من المعرفة والعلم، وهذا ما اتفق عليه الفلاسفة وغيرهم، ولكن ثمة أمراً لم يذكره الفلاسفة ألا وهو أن الحكمة هبة ومنَّة من الله، ويعود ذلك لفساد عقيدتهم ونظرتهم للطبيعة والإله. وسيبقى العالم في ضياع– على الرغم مما وصل إليه إلى غاية المعرفة– ما لم يأخذ بمعنى الحكمة الشرعية التي توصل إلى صحة استخدام المعرفة بإيجابية، خدمة للإنسانية التي تعيش العولمة قلباً وقالباً، روحاً ومعنًى، فالمعرفة التي تعيشها الإنسانية بحاجة ماسة إلى حكمة وإدارة لا يتأتى هذا إلاّ بتطبيق مفاهيم الحكمة الإلهية التي ستقود البشرية إلى حياة آمنة وادعة عادلة تعيش في ظلها في أمن وسلام.

المبحث الثاني:مفهوم الحكمة في القرآن الكريم

جاء لفظ الحكمة في كتاب الله تعالى في تسعة عشر موضعاً في اثنتي عشرة سورة، موزَّعة كالآتي:

1. سورة البقرة، الآيات (129، 151، 231، 251، 269)، وفي آل عمران، الآيات (48، 164)، وفي النساء، الآيات (54، 113)، وفي المائدة، الآية (110)، وفي النحل، الآية (125)، وفي الإسراء، الآية (39)، وفي لقمان، الآية (12)، وفي الأحزاب، الآية (34)، وفي ص، الآية (20)، وفي الزخرف، الآية (63)، وفي القمر، الآية (5)، وفي الجمعة، الآية (2).

وقد تم إحصاء لفظة الحكمة ودلالتها في تسعة تفاسير (ملحق 1) لمعرفة المعنى الدلالي في القرآن الكريم، وقد تبين من ذلك الآتي:

2. أن السور التي وردت فيها لفظة الحكمة ست سور مكية تركّز على العقيدة، وست مدنية تركّز على المعاملات وإدارة الدولة.
3. أن لفظة الحكمة نزلت في خير خلق الله من الأنبياء والمرسلين والصالحين، فنزلت في محمد. (صلى الله عليه وسلّم)، وفي داود عليه السلام، وفي عيسى عليه السلام، ونزلت في الأنبياء والرسل من ذرية إبراهيم عليه السلام.
4. أن من نزلت فيهم لفظة الحكمة في الآيات القرآنية هم من المصطفيْن الأخيار من الأنبياء والرسل والصالحين الذين اتبعوا أنبياءهم ونصروهم ونشروا دينهم.
5. أن المعنى الدلالي للحكمة الواردة في القرآن الكريم جاءت على معان عدة، وقد اتفق جمهور المفسرين على تلك المعاني على اختلاف يسير في بعض الألفاظ.
6. تعدد دلالات الحكمة الواردة في القرآن الكريم عند المفسرين، ومنها:

أ. جاءت بمعنى السنة، ففي تفسير الآية (129) من سورة البقرة، قال القرطبي:

"والحكمة المعرفة بالدين والفقه في التأويل، والفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى، قاله مالك، ورواه عنه ابن وهب، وقاله ابن زيد. وقال قتادة الحكمة: السنة وبيان الشرائع (الجامع لأحكام القرآن). وقال ابن الجوزي: والحكمة: السنة (تفسير زاد المسير في علم التفسير) والفقه. وقال الشوكاني: والمراد بالحكمة: المعرفة بالدين، والفقه بالتأويل والفهم للشريعة (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية). وقال ابن كثير: والحكمة أي السنة (تيسير العلي، 1989). وقال

السعدي: والحكمة قيل هي السنة، وقيل: الحكمة معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها وتنزيل الأمور منازلها (مختصر تفسير ابن كثير). وقال الصابوني: والحكمة أي السداد في القول والعمل أو سنن الأنبياء وهي السنة المطهَّرة (صفوة التفاسير). وقال الطبري: والحكمة هي السنة التي نوحيها إليه في غير كتاب (جامع البيان عن تأويل آي القرآن). وقال الألوسي: والحكمة أي الفقه وعلم الحلال والحرام، قاله ابن عباس، وقيل: جميع ما علمه من أمور الدين، وقيل: سنن الأنبياء عليهم السلام (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

ب. وجاءت بمعنى النبوّة. قال ابن الجوزي: والمرد بالحكمة هنا قولان؛ أحدهما: أنها النبوة، قاله ابن عباس، والثاني: الزبور، قاله مقاتل (تفسير زاد المسير في علم التفسير). وقال الصابوني: ﴿ **وَآتَاهُ اللَّهُ المُلْكَ وَالحِكْمَةَ**﴾ (سورة البقرة، الآية 251). أي أعطى الله تعالى داود الملك والنبوة (صفوة التفاسير).وقال البغوي: قوله عز وجل: ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْحَكْمَةَ**﴾ (سورة ص، الآية 20)، يعني النبوة والإصابة في الأمور(البغوي، 1993).

ج. جاءت بمعنى الفهم والعلم والعقل والإصابة. قال البغوي: قوله عز وجل ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاء**﴾ (سورة البقرة، الآية 269). وقال الشوكاني، قوله: ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ**﴾ هي العلم، وقيل الفهم، وقيل الإصابة في القول (تفسير فتح القدير). وقال القرطبي: أي هذه من الأفعال المحكمة التي تقتضيها حكمة الله عز وجل في عباده، وخلقها لهم من محاسن الأخلاق والحكمة، وقوانين المعاني المحكمة، والأفعال الفاضلة (تفسير القرطبي).

وبناءاً على ما سبق جاءت الحكمة في القرآن الكريم على عدة أوجه، نذكر منها:

أولا: الموعظة: ومنها قوله عز وجل: ﴿ **حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ**﴾ (سورة القمر، الآية **5**).

ثانياً: السنة: ومنها قوله تعالى: ﴿ **كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة البقرة، الآية **151**).

ثالثاً: الفهم: ومنه قوله تعالى: ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ**﴾ (سورة الأنعام، الآية89).

رابعاً: النبوة: ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ**

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ (سورة البقرة، الآية 251).

خامساً: القرآن: ومنه قوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ (سورة النحل، الآية **125**).

سادسا: علوم القرآن: ومنه قوله تعالى: ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ (سورة البقرة، الآية 269) (الحافظ ابن الجوزي، 2010).

وتأسيساً على ما سبق ومن خلال تتبع لفظة الحكمة وارتباطها بالآيات التي وردت فيها، والمعاني التي دلت عليها، نلاحظ أن الحكمة في كتاب الله من مدلول التركيب اللغوي نوعان:

1- مفردة، كقوله تعالى: ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ (سورة البقرة، الآية **269**). وقوله تعالى: ﴿ **حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ**﴾ (سورة القمر، الآية **5**). وفسرت الحكمة المفردة بالنبوة، وبعلم القرآن.

2-المقرونة بالكتاب، كقوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (سورة البقرة، الآية 129). فهي السنة. كذلك قال الشافعي وغيره من الأئمة. وقيل: هي القضاء بالوحي. وتفسيرها بالسنة أعم وأشهر. وأحسن ما قيل في الحكمة: قول مجاهد ومالك أنها: "معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعلم". وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن، والفقه في شرائع الإسلام، وحقائق الإيمان.

وجدير بالذكر أن الآيات التي نزلت في الأنبياء والمرسلين بمعنى النبوة والقرآن وشرع الله، جاءت بصيغة الفعل الماضي مثل الآيات (231، 251) من سورة البقرة، والآية (81) من سورة آل عمران، وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة للدلالة على الثبات والحصول، فهي ثابتة لا تتغير، وتم الحصول فلا تتجدد ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ (سور المائدة، الآية 3).

والآيات التي نزلت بمعنى العلم والفهم والمعرفة جاءت بصيغة الفعل المضارع، مثل الآيات (151، 269) من سورة البقرة، والآية (164) من سورة آل عمران، والآية (2) من سورة الجمعة للدلالة على الاستمرارية والديمومة، فلا يتم تحصيلها إلا بالعلم والفهم والمعرفة، فهي مكتسبة بذلك.

وجاءت آيتان بصيغة الأمر، الأولى الآية (125) من سورة النحل، وهي خطاب لمن

وهبهم الله الحكمة: أي النبوة، أن يبلغوا شرع الله وما آتاهم الله من العلم والدين بأسلوب فيه الحكمة والكلمة الطيبة النافعة التي تلقاها من ربه سبحانه وتعالى. فأمرهم أن يلتزموا سلوكاً معيناً فيه (الرحمة) كما في قوله تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ (سورة الأنبياء، الآية 107). (والعلم)، كما في قوله عز وجل: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ (سورة محمد، الآية 19). (وضبط النفس) كما في الآية الكريمة: ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ (سورة آل عمران، الآية 159). (وإقامة العدل) كما في الآية الكريمة: ﴿ **وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ**﴾ (سورة الشورى، الآية 15).

أما الآية الثانية فهي قول الله عز وجل:﴿ **وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾ (سورة الأحزاب، الآية 34). وفيها أمر الله تعالى إلى أولئك الذين اكتسبوا الحكمة وتعلموها من مشكاة النبوة أن يعلِّموها غيرهم ليكونوا مرشدين إلى العلم النافع والعمل الصالح، فتحصل الغاية المطلوبة من هداية المخاطبين وسعادتهم للفوز بالثواب والنجاة من العقاب.

مفهوم الحكمة في السنة النبوية الشريفة:

جاء لفظ الحكمة في الصحيحين البخاري ومسلم في مواضع عدة، منها:

قال النبي (صلى الله عليه وسلم): " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلَّط على هَلَكَتِهِ في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها " (البخاري، 2004). وعن ابن عباس قال: " ضمني النبي (صلى الله عليه وسلم): إلى صدره وقال: اللَهم علِّمها الحكمة " (البخاري، 2004). وعنه قال (صلى الله عليه وسلم): "أتاكم أهل اليمن هم أرقَّ أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغذم ". وفي رواية أخرى: "أتاكم أهل اليمن أضعف قلوبا وأرقَّ أفئدة، الفقه يمان، والحكمة يمانية " (البخاري، 2004).

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): " الحياء لا يأتي إلا بخيرا " فقال بشير بن كعب: " مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقار، وان من الحياء سكينة، فقال له عمران: أحدثك عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتحدثني عن صحيفتك " (البخاري، 2004).

وعنه أنه قال: " إن من الشعر حكمة " (البخاري، 2004).

وقال (صلى الله عليه وسلم):،" فُرِجَ عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل فَفَرَجَ

صدري، دم غَسَله بماء زمزم، ثم جاء بطِستٍ من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أَطْبَقَهُ "(البخاري، 2004).

مما سبق نلاحظ أن لفظة الحكمة وردت في ست مرات في الصحيحين، أربع منها متفق عليها، واثنتان تفرد بهما البخاري، وقد جاءت الحكمة في السنة النبوية على معان عدة منها:

1. **القرآن:** وهو بمعنى علوم القرآن وقراءته وتأويله، ويتمثل ذلك في قوله (صلى الله عليه وسلم):

" ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها " (البخاري، 2004). قال ابن حجر: قوله (الحكمة): اللام للعهد، لأن المراد بها القرآن (ابن حجر العسقلاني، 852 هـ)٠ وقوله (صلى الله عليه وسلم):" اللهم علمه الحكمة " (البخاري، 2004) .

2. **السنة:** وهي بمعنى العلم بشرع الله والعمل به؛ لأنها ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة. ويتمثل ذلك في قوله (صلى الله عليه وسلم): " الإيمان يمان، والحكمة يمانية " (البخاري، 2004). قال النووي: " وأمّا الحكمة، ففيها أقوال كثيرة مضطربة، قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به، والصدّ عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك " (النووي، 1997).

3. **العلم والفهم والمعرفة والعمل:** وتمثل ذلك بقوله (صلى الله عليه وسلم): " الحياء لا يأتي إلا بخير، فقال بشير ابن الكعب مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقار وان من الحياء سكينة، فقال له عمران: أحدثك عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتحدثني عن صحيفتك " (البخاري، 2004)، قال ابن حجر: " والحكمة في الأصل إصابة الحق بالعلم " (ابن حجر العسقلاني، 852 هـ).

والحكمة: كل ما منع من الجهل، وزجر عن القبيح (المنهاج، مرجع سابق). وقوله (صلى الله عليه وسلم): " اللهم علِّمه الحكمة ". قال ابن حجر: وعند أحمد من وجه آخر عن عكرمة: " اللَّهم أعط ابن عباس الحكمة وعلِّمه التأويل ". واختلف في المراد بالحكمة هنا فقيل: الإصابة في القول، وقيل: الفهم. وقوله (صلى الله عليه وسلم): " ثم جاء بطِستٍ من

ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقة " (البخاري، 2004).

وقال ابن بطال: " ما كان في الشعر والرجز ذكر الله تعالى وتعظيم له ووحدانيته وإيثار طاعته والاستسلام له فهو حسن مرغب فيه، وهو المراد في الحديث بأنه حكمة، وما كان كذباً وفحشا فهو مذموم (ابن حجر العسقلاني، 852 هـ)٠

4.النّبوّة: ويظهر ذلك في قوله (صلى الله عليه وسلم): " فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه " (البخاري، 2004).

قال ابن حجر: قال النووي: في تفسير الحكمة أقوال كثيرة مضطربة صفا لنا منها أن الحكمة العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق للعمل به، والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك. وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتمل على ذلك كله، وعلى النبوة كذلك (ابن حجر العسقلاني، 852 هـ).

من هنا نجد أن ثمة توافقاً في معنى الحكمة من منظور شرعي بين الكتاب والسنة، وهذا يؤكد بأن الحكمة هبة ومنة من ناحية ومكتسبة من ناحية أخرى على التفصيل الذي ذكرناه آنفاً.

مفهوم الحكمة عند الفقهاء والعلماء:

ذكر ابن الأثير في" النهاية في غريب الحديث والأثر " أن حَكَم في أسماء الله تعالى "الحَكَم والحكيم"، وهما بمعنى: الحاكِم، وهو القاضي. وقيل الحكيم: ذو الحِكمة. والحِكمة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال: لمن يحسن دقائق الصِّناعات ويتقنها: حكيم. وفيه: " إن من الشعر حُكماً، أي: إن من الشعر كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه، وينهى عنهما. وقيل: أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس. والحكم: العلم والفقه والقضاء بالعدل. ويروى: " إن من الشعر لحِكمة "، وهي بمعنى الحُكْم (ابن الأثير، 2009). والحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل (الأصفهاني، 2002).

وقال أبو حامد الغزالي: الحكمة: حالة للنفس بها يُدرى الصواب من الخطأ في جميع الأحوال الاختيارية (مبارك، 1970)٠أما باديس فقال: الحكمة: هي العلم الصحيح الثابت المثمر للعمل المتقن المبني على ذلك العلم، فالعقائد الحقّة، والحقائق العلمية الراسخة في النفس رسوخا تظهر آثار على الأقوال والأعمال حكمة، والأقوال المستقيمة والكلمات الطيبة

التي أثمرتها تللك العقائد، والأخلاق الكريمة كالحلم، والأناة وهي علم، وعمل نفيس حكمة، والبيان عن هذا الكلام كله بالكلام الواضح الجامع حِكمة (باديس، 1982).

في حين قال العسكري: والحكم يقتضي المنع عن الخصومة من قولك: أحكمته إذا منعته، ويجوز أن يقال: الحكم فصل الأمر على الأحكام بما يقتضيه العقل والشّرع، فإذا قيل: حكم بالباطل فمعناه أنه جعل الباطل موضع الحق (العسكري، 2006). أما ابن مسكويه فقال أن الحكمة هي فضيلة النفس الناطقة المميزة، وان تعلّم الموجودات كلها من حيث هي موجودة، والأقسام التي تحت الحِكمة هي: الذكاء، والذكر، والتعقل و سرعة الفهم وقوته، وصفاء الذهن وسهولة التعلم (ابن مسكويه، 1985). وقال ابن قتيبة: الحِكمة: العلم والعمل، ولا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما. أما ابن فارس فقد قال: أصل الحكم المنع، وأحكمت السفيه وحكمته أخذت على يده. وقال محقق الكتاب في الحاشية: سُمِّيَ الحكم حكماً؛ لأنه تم منعه عن التخاصم، وسُمِّيَ العلم حكمة؛ لأنو يمنع صاحبه من الموارد القبيحة التي يردّها الجاهل (ابن الجوزي، 2010). وقال ابن القيم: الحكمة هي العلم النافع، والعمل الصالح. وسمي حِكمة: لأن العلم والعمل قد تعلقا بمتعلقهما وأوصلا إلى غايتهما المحمودة.

فإذا كان المتكلم به لم يقصد مصلحة المخاطبين، ولا هُداهم، ولا إيصالهم إلى سعادتهم ودلالتهم على أسبابها وموانعها، ولم يكن ذلك هو الغاية المقصودة المطلوبة، ولا أرسل الرسل ولا أُنزل الكتب لأجلها، ولا نصب الثواب والعقاب لأجلها، لم يكن حكيماً ولا كلامه حِكمة، فضلاً عن أن تكون بالغة (ابن القيم الجوزية، 2008).

فمصطلح الحكمة إجرائيا ينص على أن الحكمة هبة ومنَّة وعطية من الله، وأنها مكتسبة بالتعلم والفهم والمراس والخبرة والتجربة، وبها تُدار المعرفة وتُساس الأزمات.

مفهوم الحكمة عند الفلاسفة:

الحكمة في المعجم الفلسفي هي: العلم والتفقه. والحكمة والعدل، والكلام الموافق للحق وصواب الأمر وسداده، ووضع الشيء في موضعه، وما يمنع من الجهل والعلَّة. يقال: حِكمة التشريع، والحكمة أيضا هي الفلسفة، أي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ولها في عرف الفلاسفة معا نٍ عدّة، أهمها:

1. أطلق لفظ الحكمة عند اليونانيين على العلم، ثم أطلق بعد ذلك على العلم مع العمل. لذلك قيل: الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، ثم أطلق بعد ذلك على العلم والعمل، لذلك

قيل: الحكمة هي استعمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة قدر الطاقة البشرية. وقيل: الحكمة معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة، وهي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة ما للإنسان وما عليه، أو هي معرفة الحق لذاته، ومعرفة الخير لأجل العمل به.

2. وهي حالة يوصف بها الحكم، وهي هيئة للقوة العقلية متوسطة بين الجربزة والبلاهة، أو حالة توصف بها الأفعال والأقوال، أو منفعة تترتب على الفعل من غير أن تكون باعثة عليه.
3. وهي الكلام الذي يقل لفظه ويجلّ معناه، والجمع حِكَم الأمثال وجوامع الكلم. والحِكْمِيُّ هو المنسوب إلى الحِكَم، والحِكْميُّون هم الفلاسفة أو الشعراء الذين يؤثرون التكلم بالكَلِم.
4. وهي الحكمة الإلهية؛ علم يبحث في أحوال الموجودات الخارجية المجردة عن المادة التي لا تتعلق بقدرتنا ولا باختيارنا.
5. وهي الحكمة المنطوق بها، أي علوم الشريعة والطريقة، والحكمة المسكوت عنها هي أسرار الحقيقة التي لا يطلع عليها علماء السوء والعوام على ما ينبغي، فتضرهم أو تهلكهم معرفتها (صليبا، 1978).

وقد جاء في معجم "لالاند" أن الحكمة: علم فلسفة في مجرى الكلام على الأزمنة اليونانية القديمة، وفي أزمنة متأخرة، فالحكمة هي الفضيلة لا غير. لذا، كانت الحكمة هي الاسم الأقدم للفلسفة، وكانت تبدو آنذاك وحدة العلم، وكان الحكيم يطرح على نفسه كل المسائل في آن واحد من علة وطبيعة، وغاية العالم والإنسان إلى حقيقة الله في السماء، والعناية الإلهية في هذا العالم وتنظيم الحواضر وأدب الحياة، والنظرة الوحيدة العميقة الحزينة. فهذا الكائن الذي يحس ويفكر، والذي يستيقظ وسط اللانهاية ضائعاً وجاهلاً نفسه، هذه النظرة، هل تقل عن الحكمة توسلاً والتماساً؟ وكان هذا المعنى لا يزال مستعملاً في القرن السابع عشر، إلا أن ديكارت شعر بالحاجة إلى تفريغه من المعنى الجاري والمألوف، إذ يقول: " لا نقصد بالحكمة الحصافة فقط في الأعمال، بل يقصد بها أيضاً المعرفة الكاملة لكل الأشياء التي يستطيع الإنسان أن يعرفها سواء على صعيد أدب حياته ومسلكه، أو على صعيد حفظ صحته وابتكار كل الفنون " (لالاند، 2001).

مما سبق يتبين أن ثمة توافقاً وترابطاً بين الحكمة والفلسفة، فقد اهتم الفلاسفة منذ

القدم بتعريف الحكمة، فعدها أفلاطون بإحدى الفضائل الأربعة (الحكمة، العدالة، الشجاعة، الاعتدال)، وعدها أرسطو رأس العلوم والأدب والفن، وهي تلقيح الأفهام ونتاج الأذهان.

إلا أن بعض الفلاسفة، مثل هيجل – أعظم الفلاسفة الألمان – عد الحكمة أعظم شأناً من الفلسفة، وأن الحكيم أعلي مرتبة من الفيلسوف، إذ يقول: " الحكمة هي أعلى المراتب التي يمكن أن يتوصل إليها، فبعد أن تكتمل المعرفة ويصل التاريخ إلى قمته تحصل الحكمة، وبالتالي فالحكيم أعلي شأناً من الفيلسوف، والحكمة هي المرحلة التالية والأخيرة بعد الفلسفة، إنها ذروة الذرى وغاية الغايات (الموسوعة الحرة – ويكيبديا–).

لقد اختلف الفلاسفة الأقدمون في المساواة والمفارقة بين الفيلسوف والحكيم، فمنهم من جعلهما في كفتي ميزان متعادلتين، ومنهم من رجّح كفة الحكمة علي الفلسفة. فإن ثمة حقيقة اتفقا عليها وهي أن الحكمة هي: نتاج فكر متقد، ورأي ثاقب، وبصيرة نافذة، خاضت عراك الحياة ففاضت القرائح بما يحقق غاية المصالح. ويظهر ذلك جليا من خلال تعريفاتهم للحكمة، فمنهم من قال بأنها: " اكتساب العلم من التعلم أو من التجارب ويقاربها في المعني كلمة الخبرة، وهي علم حقائق الأشياء " (الموسوعة الحرة – ويكيبديا–). وعرفها آخر بأنها: " العلم والتفقه " (صليبا، 1978) . ولم يعرف الفلاسفة بأن الحكمة هي هبة ومدة وعطاء من الله تعالي، وكانوا يرون أن المرء يتعلم الحكمة بثلاثة أساليب هي:

1. التفكير: وهو الطريق الأسمي للحِكمة.
2. المحاكاة: وهو الطريق الأسهل للحِكمة.
3. التجربة: وهو الطريق الأكثر مرارة في سبيل تعلُّم الحِكمة.

المبحث الثالث: علاقة المَثَل بالحكمة

لقد اقترنت الحكمة بالمثل في كثير من النصوص، ومن مظاهر هذا الاقتران ورود بعض ما اشتق من مادة (ح ك م) في النصوص التي تحدث بها أصحابها عن الأمثال، فوردت الحكمة: بمعنى الإتقان والجودة في وصف الأستاذ أحمد أمين لبعض الأمثال[1] كما وردت بهذا المعنى، أو ما هو قريب منه، فيما ذكره الأستاذ خليل ثابت، عن فضل العرب في وضع أمثالها[2]، وورد اسم التفضيل، واسم المفعول، من المادة اللغوية، فيما ذكره ابن رشيق القيرواني عن المثل السائر[3]. وجاءت الأحكام، فيما نقله السيوطي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام ت 660هـ عن الأغراض المستفادة من ضرب الله — سبحانه — للأمثال في القرآن[4] وجاءت الأحكام: بمعنى الحكم، فيما نكره حازم، عن القوانين التي تخضع لها الحكم والأمثال[5].

وإذا كانت هذه الأقوال، التي أشير إلى مواضعها، قد تضمنت بعض ما اشتق من المادة اللغوية (ح ك م)، فإن نصوصا أخرى كثيرة تضمنت لفظ الحكم دائما، إلى جانب الأمثال، خصوصا في المؤلفات التي تناولتهما معاً[6] وإذا ما علل اقترانهما في مثل هذه الكتب بكونها قد ألّفت خصيصا لبحثهما معا، فان هذا التعليل على ما فيه من وجاهة — لا يضعف مما بينهما من صلة متينة، ولولاها لما ألفت هذه الكتب، وما ماثلها، للحديث عنهما مقترنين متلازمين. يضاف إلى هذا أن اقترانهما لم يقتصر على ما أُلِّفَ فيهما معًا. إذْ اقترنت الحكمة بالمَثَل،في الكتب والأحاديث الخاصة بالأمثال. حتى اننا لا نبعد، إذا قلنا: إن أكثر الذين تحدثوا عن الأمثال قد ذكروا الحكم، أو أشاروا إليها، في أحاديثهم تلك ومؤلفاتهم.

ومهما يكن من شيء، فإذا كان المَثَل قد اقترن بالحكمة، أو ببعض ما اشتق من مادة (ح ك م)، فيما سبقت الإشارة إليه، فقد ذهب بعض الباحثين إلى ربطه بها، وشدِّه إليها، حتى أنَّ منهم من فسَّره بها، وفسّرها به، فذهب الحكيم الترمذي إلى أن الأمثال: نموذجات الحكمة لما

---

[1]- قاموس العادات: 63.
[2]- الأمثال العامية، لأحمد تيمور، المقدمة.
[3]- السدة: 1/280.
[4]- الإتقان: 2/131.
[5]- البرهان: 1/491.
[6]- أمثال وحكم، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 4756، الأمثال والحكم، مخطوط، بالدار نفسها رقم 15057، تحفة الأخبار في الحكم والأمثال والأشعار، مخطوط، الحكم والأمثال، لجنة من الأدباء العرب، إصدار دار المعارف بمصر.

غاب عن الأسماع والأبصار[1]، وذهب الفارابي إلى أن الكل: من أبلغ الحكمة، فقال: ((المَثَل: ما تراضاه العامة والخاصة، في لفظه ومعناه.. وهو من أبلغ الحكمة، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص، أو مقصر في الجودة، أو غير بالغ المدى في النفاسة))[2]. وقال: ((والنادرة حكمة صحيحة، تؤدي ما يؤدي عنه المَثَل إلاّ لم تَشِعْ بين الجمهور ولم تَجْرِ إلاّ بين الخواص))[3] فسوّى بين النادرة، والمَثَل، والحكمة الصحيحة. ونقل إلينا أبو عبيد تسميتهم للحكم القائم صدقها في العقول أمثالاً، فقال: ((سميت الحكم القائم صدقها في العقول: أمثالا))[4]. وقد يراد بها تلك البديهيات التي لا تحتاج للتسليم بصدق مفهومها — إلى اختبارها، لأن صدقها قائم في العقول فطريا، وقد يُراد بها تلك الحكم التي اختُبِرَت، فبانَ للعقول صدق ما انطوت عليه. وأيًا ما كان المراد بها ، فقد عُدَّت هذه الحكم أمثالاً.

ونقل أبو هلال العسكري: أنَّ نوعا من الحكم لم يشترط فيها غير السيرورة قد انضوت تحت لواء الأمثال، فقال بعد أن عرض معنى المَثَل (ثم جعلت كل حكمة سائرة مثلا)[5]. وذهب بتزن (Betzen) إلى مثل ما ذكره العسكري، من أن لفظ المَثَل في العربية كان قد أُطلِق على الجمل الجامعة المُرَكَّزة والأمثال، وذهب إلى أن الوحدة الأدبية التي تُميِّز أدب الحكمة في العهد القديم والعالم القديم عمومًا هي الجملة الجامعة والمَثَل[6]. فكان أدب الحكمة — على ما ذهب إليه — أعم وأشمل من المَثَل؛ وهذا ما حدا بالدكتور عبد المجيد عابدين إلى أن يقول: ((فاتفق الباحثون على أن أدب الحكمة: (wisdom literature) أعم من أدب الأمثال، فكل مَثَل حكمة، وليس كل حكمة مَثَلا))[7].

ومهما يكن من شيء، فإذا كان المتحدثون عما بين المَثَل والحكمة من صلة قد اختلفوا في تحديد طبيعة تلك الصلة، فمنهم من عد الأمثال من غير ما تخصيص لها أو تحديد حِكمًا، ومنهم من عدها شكلاً من شكلي الحكمة، وقسمًا من قسميها، وانتهى إلى أن أدب الحكمة أعم من أدب الأمثال، ومنهم من ذهب إلى أن الأمثال تشمل الأقوال –الموجزة السائرة الممثل مضربها بموردها، والحكم السائرة، أو القائم صدقها في العقول. أقول مع أنهم كانوا قد اختلفوا في تشخيص طبيعة تلك الصلة فإنهم جميعا كانوا قد التفتوا إليها. وقد يستطيع

1- الامثال من الكتاب والسُنة، المقدمة، مخطوطة.
2- ديوان الادب، المقدمة، مخطوطة.
3- الموضع نفسه.
4- مجمع الامثال، المقدمة.
5- جمهرة الأمثال ، المقدمة.
6- Introduction to Old Testament , Vol 1, p 167.
7- الأمثال في النثر العربى القديم: 8.

الباحث أن يفترض وجود عوامل عدة منفردة أو مجتمعة — كانت قد أوحت إليهم — من قريب أو بعيد — بالالتفاف إلى هذه الصلة، وتقريرها على النحو الذي رأيناه، من هذه العوامل:

أولاً: ورود سفر الأمثال في العهد القديم مزيجا من الحكم والأمثال، وليس من السهولة فصل هذه — فيه — عن تلك، فضلاً عمَّا ورد فيه من أن الحكمة مقصد من مقاصد المَثَل، وغرض من أغراضه (أمثال سليمان بن داود لمعرفة حكمة وأدب، لإدراك أقوال الفهم)[1] فاذا عرفنا أن علماء العربية — حتى القدامى منهم — كانوا قد عرفوا هذا السفر، وأشاروا إليه، وأن منهم كل أورد طائفة من أمثال العهد القديم[2] جاز أن يكون له شيء من التأثير، فيما ذهب إليه المتحدثون غمَّا للأمثال من صلة بالحكمة.

ثانيا: ورد اللفظ (màsàl) في الأسفار القديمة للعهد القديم دالاً عل الحكم والسيادة، إلى جانب دلالته عل المماثلة والمشابهة، حتى إن (هـ.أ.إرنسيد) كان قد فسَّر الأمثال بمبادئ الحكم، لهذا السبب فقال: (الكلمة المترجمة — (أمثال) — مشتقة من فعل معناه (يحكم) وهذا الفعل يرد لأول مرة في الإصحاح الأول من سفر التكوين. وعل ذلك يكون معنى كلمة (أمثال): مبادىء الحكم، التي تحكم بنورها السماوي سلوك المؤمن، وتميزه عن سلوك أهل العالم)[3]. وذهب آخرون — للسبب نفسه.

— إلى أن كلمة مثل – العربية — مأخوذة من كلمة (مشل) العبرية[4].

ثالثا: دلالة مادة (م ث ل) في اللغات السامية على معاني الحكم والسيادة، مع ما لها من دلالة فيها على المماثلة والمشابهة، كما ذكر الدكتور عبد المجيد عابدين، ولهذا انتهى إلى القول: إن المَثَل: لقب خاص أُطلق على أقوال، عمادها أصحاب السلطة الدينية والزمنية[5].

رابعا: شمول الأقوال الموجزة السائرة للحكم، والتشبيهات، والتمثيلات، مما حدا ببعض من ألفوا في الأمثال، إلى أن يعنونوا مؤلفاتهم بالحكم والأمثال معًا، كما حدا بالمتحدثين عن الأمثال إلى أن تعدوا الحكم السائرة، أو القائم صدقها في العقول أمثالاً. ومن الباحثين من عدّ الحكم السائرة، أو القائم صدقها في العقول أمثالاً. ومن الباحثين من عدّ الحكم السائرة

1- الإصحاح الأول منه: العبارة رقم: (1، 2).
2- الثعالبي: التمثيل والمحاضرة : 13، وانظر جامع الفنون، مخطوط، ورقة: 2.
3- دراسات في سفر الأمثال:20.
4- ينظر ما نقله الأستاذ احمد أمين في كتابه: فجر الإسلام:60.
5- الامثال في النثر العربي القديم: المقدمة.

ألصق بالأمثال، ومن تلك الأقوال التي أشارت إلى حوادث خاصة، أو انتزعت منها، قولهم: (اقتلوني ومالكًا) و(وافق شن طبقة) وما أشبه[1].

خامسا: صدور كثير من الحكم والأمثال عن الحكماء، حتى إن كثيرا مما جاء منسوبا من الأمثال إلى قائله، كان قد نسب إلى من عُرفوا بالحكمة، واشتهروا بها، من أمثال لقمان الحكيم، وأكثم بن صيفي، وأمية بن الصلت، وغيرهم. ومن الباحثين من ذهب إلى أنه لم يبق حكيم من حكماء العرب إلاّ ونسبت إليه جملة من الأمثال[2] ووحدة المصدر هذه ربما كان لها بعض الأثر في ما ذهب إليه الباحثون في تقرير الصلة بينهما.

سادسا: إعلاء الإسلام شأن الحكمة والمَثَل، ورفعه منزلتهما، فقال تعالى:

﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْـمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيـرًا**﴾ (البقرة: 269) .

وقـال:

﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَـالُ نَضْرِبُهَـا لِلنَّـاسِ وَمَـا يَعْقِلُهـا إِلَّا الْعَـالِمُونَ**﴾ (العنكبوت: 43).

وكثيرا فيه كثرة تدعو للتأمل، فامتلأ القرآن بالحكم حتى قيل: إن القرآن إنما وصف بالحكيم لما فيه من الحكم[3] وأما كثرة الأمثال فيه فيكفي في هذا قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الروم: 58).

فاشتراكهما في سمو المنزلة في القرآن، وتماثلهما في كثرة المورود فيه، نبّه علماء المسلمين — على أقل تقدير — إلى ما بينهما من صلةٍ–

سابعـا: اتفاقهما في غير قليل من الخصائص، في الشكل والمضمون، فلكل من المَثَل والحكمة طابع تعليمي، ونطقنا بالمَثَل إثر وقوع الجربة لا ينفي عنه طابع التعليم، والتوجيه، والإرشاد، لأنه يمكن أن يحول بين المناسبة التي قيل على أثرها، وبين تجددها، واستمرار وقوعها.

وكل من المَثَل والحكمة وليد التجارب الفردية، فقالت الدكتورة نبيلة ابراهيم ((على أن الأقوال، والحكم المأثورة، تتفقان مع المَثَل الشعبي، في كونها جميعا ترجع إلي اهتمام روحي واحد، وهو تلك التجارب الفردية التي يعيشها الناس، وتتلخص في تلك الأقوال الموجزة الحكيمة))[4].

1- أشكال التعبير في الأدب الشعبي: 147-148.

2- الفن ومذاهبه في النثر العربي: 24 ، أنظر مثلا مفردات الراغب مادة (ح ك م) ومعجم ألفاظ القرآن لمجمع اللغات العربية.

3- المادة ذاتها.

4- أشكال التعبير في الأدب الشعبي: 147.

وهذا الذي ذهبت إليه الدكتورة نبيلة إبراهيم لا يصدق على المَثَل الشعبي وحده، إنما يصدق على بقية الأمثال الموجزة السائرة.

والمَثَل والحكمة يتفقان — كذلك — في كون كل منهما يحتوي على معنى يصيب التجربة، والفكرة، في الصميم. وكل منهما يعرض لقطات من تلك التجارب، من غير أن يتقيد بكل جزئياتها، ومن هنا كان الإيجاز من أبرز خصائصهما.

وبعد هذا كله فان لكل منهما شكلاً أدبيًا مكتملاً، لا يقبل الزيادة والنقصان، وكلاهما يستعين — على الأغلب — بالإيقاع الموسيقي، للتأثير في النفوس، وتهيئتها، وجعلها أكثر مطاوعة لما يرمي إليه، يُسَخَّر السجع والجناس لهذا الغرض.

ويمكن أن تكون هناك عوامل أخرى كانت قد أوحت من قريب أو بعيد، بشكل مباشر أو غير مباشر، إلى المتحدثين عن الأمثال بأن يوثقوا الصلة بينها وبين الحكم، ومن هنا فالذين ذهبوا إلى تقرير قوة تلك الصلة ومتانتها، لم يكونوا قد أبعدوا فيما ذهبوا إليه. و حق لهم أن يحاروا في تقرير نوع الصلة وطبيعتها بين الحكم والأمثال، في الاصطلاح السامي القديم، تلك الحيرة التي نقلها الدكتور عبد المجيد عن بنتسن (Bentzen) فقال: ((وإذا أمعنا النظر في استعمال كلمتي مَثَل، وحكمة، في الاصطلاح الأدبي السامي القديم، لا نكاد نهتدي إلى نوع الصلة، التي ربطت بين الاصطلاحين في المراحل الأولى: أكان كل لفظ منهما مختصا بنوع من الكلام، أم كانا لفظين مترادفين اصطلاحا؟ أم كانت الحكمة أعم من المَثَل))[1].

ومن هنا كان لابد من أن نتبين معنى الحكمة لغة واصطلاحا، بعد أن تبينا في فصل سابق معنى المَثَل في اللغة والاصطلاح، وأن ندقق النظر في خصائص الحكم، قبل أن نقرر طبيعة الصلة التي تربط بينهما، ولقد ذكر اللغويون للحكمة معاني عدة، لعل من أبرزها: المعرفة، والإتقان، فقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: ((... والحكمة: العدل، العلم، والحل، ورجل حكيم: من نوم حكماء..))[2] واقتصر الجوهري على تفسيرها بالمعرفة، والإتقان، فقال: ((والحكم أيضًا: الحكمة: من العلم، والحكيم: المتقن للأمور))[3] وفرَّق الراغب الأصفهاني بين الحكمة المنسوبة — للخالق جل شأنه — والحكمة المنسوبة للمخلوق. فقال: ((الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء، وإيجادها على غاية

1- الامثال في النثر العربي القديم: 147.
2- المخصص: 214/12.
3- الصحاح: (ح ك م).

الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات، وفعل الخيرات))[1]. وقال ابن منظور:((.. والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويُقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم.. والحكم، والحكمة: من العلم، والحكيم: العالم))[2]. وقال أبو عبد الله الحسن بن محمد: ((تفسير الحكمة، على خمسة أوجه: العِظَة، الفَهم، النُّبُوَّة، القرآن، تفسير القرآن))[3]. وجمع الشيخ أحمد رضا في معجمه ما قيل عن معانيها، فقال: ((الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، ومعرفة الموجودات، وفعل الخيرات، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والعلم، و العدل في القضاء، والنبوَّة، و القرآن، والتوراة؛ والإنجيل، والتَّفَقه، والعلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه — في الأمر نفسه — بقدر الطاقة البشرية))[4].

من هذا كله يتضح أن الفهم الدقيق، والنظر السديد، من أبرز معانيها اللغوية؛ وأقربها لتفسير الحكم. واللغويون بعد هذا مجمعون عل ارجاع الحكمة، بل مادة (ح ك م) كلها إلى المنع، و عَدُّوه أصلاً لها. فقال الأصمعي ((أصل الحكومة: ردُّ الرجل عن الظلم. قال: ومنه سميت حكمة اللِّجام، لأنها تَرُدُّ الدّابة))[5]. وقال الخليل: ((وأصل الحُكم: من قولهم: حَكَمْتُهُ عن الشيء، وأَحْكَمْتُه: مَنَعْتُهُ، ومنه حَكَمَةُ الدَّابةِ))[6]. وقال: ((وأصل التحكيم: المنع))[7]. وقال الراغب: ((حَكَمَ: أصله منع منعًا لاصلاحٍ، ومنه سميت اللِّجام: حكمة الدابَّة))(٣٣)،

وهذا الذي ذهب اليه اللغويين يتفق مع ما انتهى إليه الدكتور عبد المجيد في تحقيق المادة اللغوية (ح ك م) في اللغات السامية، بقوله:((... ومن الممكن أن نرد مادة (ح ك م) في السامية إلى معنى المنع والفصل، ومن فصل الشيء ومنعه يشتق معنى التوضيح والتمييز، ومنه جاءت المعاني الكثيرة التي تدور حول القول الفصل))[8]. غير أن اللغويين — على ما يظهر — كانوا قد أدركوا أنه ((يصعب تلخيص أسرة الكلمة في ناحية أو كيفية معينة))[9] وان ((الكلمات في معانيها ليس لها سور يحيط ها بدقة))[10] فتجاوزوا المنع في تفسيرهم الحكمة إلى المعاني الأخرى، التي لم تكن هي المنع ذاته، وان كانت غير منقطعة الصلة

1- المفردات: المادة ذاتها.
2- اللسان: المادة ذاتها.
3- الوجوه والنظائر، مخطوط، 105-106
4- معجم متن اللغة: (ح ك م).
5- اللسان: (م ث ل).
6- المخصص: 214/12.
7- المرجع نفسه: 189/6.
8- المفردات: (ح ك م).
9- الأمثال في النثر العربي القديم: 3.
10- نظرية المعنى في النقد العربي: 178.

به. كالفهم الدقيق، والنظر السديد، ومعرفة الأشياء على ما هي عليه، وإتقان الشيء وإحكامه. ومن هذه المعاني التي ذكروها قد يستطيع الباحث أن ينتهي إلى أن الحكمة: وضوح الرؤية، رؤية الحياة، وما يضطرب فيها على ما هي عليه، أو قريبا مما هي عليه، وأن الحكم: انعكاسات وأصداء — إن صح التعبير — لنظرات سديدة، وخطرات صائبة، فطرية كانت أو مكتسبة. فالحكم تمكن من الحياة، وتعين المتسلحين بها على اجتياز دروبها بخطى مطمئنة، ومن هنا كانت للحكم الصدارة من بين أنواع الأدب التعليمي. ولعل طابعها التعليمي هذا من أبرز ما تميزت به. فممّا لا شك فيه أن الحكيم كان يهدف — أول ما يهدف — إلى التعليم، والتوجيه، والإرشاد، عند نطقه بحكمته، ولهذا، رأينا المتحدثين عن الحكم — قدماء و محدثين — يفسرونها بما يبرز هذا الطابع التعليمي، ويوضحه، فهب بعضهم إلى أنها (تمنع من الجهل)، وانتهى بعض الدارسين لها من المحدثين — بعد أن استعرض غير قليل مما قيل فيها — إلى القول: ((يستخلصُ من ذلك كله أن الحكمة: هي الكلام القائم من العلم؛ والموجه إلى الصواب والسداد، في القول والعمل))[1].

وقد بلغ من تحكم الطابع التعليمي فيها، وتسلطه عليها، درجة لم تقف معها عند حدود التعليم غير المباشر، إذ سرعان ما تؤول معظم الحكم إلى أمر بشيء، وحثّ عليه، وتحبيب له، وترغيب فيه، أو نهي عن شيء وذم له، وتنفير منه، وتحذير من مغبة الإقدام على فعله، أو الاتصاف به، إن لم تكن تلك الحكم قد صيغت بصيغة الأمر، والنهي المباشرين. ولعل الرغبة في التعليم، أو التوجيه المباشر، هي التي دفعت الحكماء إلى أن يؤثروا عرض أفكارهم، وخواطرهم، وإبرازها — في الغالب — عن طريق الحقيقة لا المجاز، فلم تلجأ الحكم إلى تجسيد الفكرة التي تتناولها عن طريق الصورة، بل تكتفي في الأغلب بعرضها عرضا حقيقياً مباشرا. وقد يكون التوجيه المباشر الذى تمارسه الحكم، هو الذي حذا ببعض الباحثين إلى تشبيهها بقواعد السلوك، التي تقرّ أو تنكر هذا المسلك، أو ذاك، بشكل سافر صريح، وقد ما فيها من التوجيه المباشر، هو الذي دفع إلى ربطها بالحكم:بمعنى القضاء ففسرت به، وفسر بها، حتى لكأن الحكمة حكم للشيء، أو عليه. ومن هنا لم تعد بها حاجة إلى أكثر من ذكر الأشياء، وما يصدق عليها من أحكام، وأسباب أو مقدمات، وما يمكن أن تفضي إليه من نتائج، وكثيرا ما اقتصرت على ذلك فعلا، واستغنت به عمَّا سواه من جوانب التجربة، فاتسمت بالإيجاز والاقتضاب. وربما ساعد عل هذا الإيجاز، تناولها فكرة، أو

1- الحكم والامثال: 8.

خاطرة محددة، أو تجربة جزئية ضيقة من تجارب الحياة اليومية، فالحكمة: تقدم لنا جانبا، أو لقطة – ان صحّ التعبير– مما تتناوله، غير أنها مع ذلك، لا تلبث أن تفلت من تلك التجارب. الجزئية المحددة، لتكون قاعدة عامة مطلقة، وحكمًا كليًا شاملاً، إن الحكمة تأبى التقييد، وتنزع إلى الإطلاق، والتعميم، والتجريد. حتى ليمكنها أن تعيش وحدها بعيدة عن التجربة التي انتزعت منها وصاحب تلك التجربة، والظرف الذي أحاط بها، أو بصاحبها. فزهير بن أبي سلمى — مثلاً — حين تحدّث عما بلغه من العمر، وما أصابه من سأم وضجر وضيق، من تكاليف حياته الطويلة، وعمره المديد، ولم يقف، أو لم تقف به حكمته، عند حدود التعبير عما كان يكابده، ويعانيه، بل سرعان ما انتهى منه إلى تقرير حكم عام مطلق، لا يختص به دون غيره، ولا يقتصر على زمانه ومكانه دون سواهما، فقال:

سئمتُ تكـاليف الحيــاة ومــنْ يعشْ ثمانيــن حــولاً لا أبـاً لـكَ يسْــأَمُ[1]

فقوله ((ومن يعش ثمانين حولً، يسأم)): حكمة انسلخت من تجربة زهير الخاصة، وزمانها، ومكانها واقتصرت، أو كادت تقتصر عل ذكر السبب والنتيجة، فجاءت غير خاف إيجازها، واقتضابها، وطابعها التعليمي المباشر، وما صدق عليها يمكن أن يصدق عل أكثر الحكم المأثورة، سواء في ذلك تلك التي جاءت منسوبة إلى أصحابها، أو لم تكن كذلك.

هذا ومن الجدير بالملاحظة أن الحكمة وان كانت وليدة تجربة الحكيم وحصيلة خبرته تتصدر تجاربنا في الحياة، ولا تجيء في أعقابها. ولولا تصدرها هذا، لما أفادت ما أريد بها من توجيه، وإرشاد، وتعليم، وهي بعد هذا — وإن تناولت ما يجري في حياتنا اليومية لا تقتصر عليه، و لا تتوقف عند حدوده، إذْ أنَّ هذا الذي يجري في حياتنا اليومية لا تقتصر عليه، ولا تتوقف عند حدوده، إذْ أنَّ هذا الذي يجري في حياتنا اليومية جزء من ميدانها الرحب، وأُفقها الواسع، الذي لا تحده غير أفكار الحكماء، وخواطرهم. وقد لا نبعد إذا قلنا: إن ما قد يخطر للحكماء قد لا يخطر لغيرهم من الناس، وإلاَّ لكان الناس كلهم حكماء، ولما قال الله تعالى:

﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْـمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيـرًا﴾ (البقرة: 269) فكثيرا ما تذهب أفكار الحكماء وخواطرهم إلى ما يمكن، أو ينبغي أن يكون، فضلاً عما هو كائن فعلا. ولهذا ارتبطت

1- ديوانــه: 29.

الحكمة بالفلسفة، بل إن الفلسفة ذاتها مأخوذة — على ما قيل — من (ثيوسوفيا) بمعنى: حب الحكمة.

ومهما يكن من شيء، فإن مجال الحكمة الحياة بكل ما تتضمنه لفظة الحياة، سواء في ذلك ما تعثر به الناس في حياتهم اليومية، أو ما تجاوزه وابتعد عنه، قليلا، أو كثيرا، ولهذا نجد بعض الحكم أكثر شيوعاً وتداولاً بين الناس من غيرها؛ وربما كان قرب مضامينها — مما يجري في حياتهم اليومية — قد أسهم في تداولها بينهم، وشيوعها في أوساطهم،فقربها هذا يمكن أن يكون قد سهل عليهم اختبارها، ومقارنتها بهذا الذي اعتادوه في حياتهم اليومية، فما أن اتَّضح لهم سدادها، ودقة مضمونها، حتى أصبحت بينهم عبارة ذات أجنحة، تجاوزتهم إلى غيرهم، دون أن تعوقها العوائق. غير أننا في الوقت ذاته لا يمكن أن نغفل ما العوامل الأخرى، من تأثير واضح في شيوعها، وانتشارها، واشتهارها، كانجاز اللفظ، ووضوح العبارة، ودقة الملاحظة.

وبعد هذا العرض لمعنى الحكمة ، وأبرز ما تتميز به، نستطيع — كيما ننتهي إلى تقرير طبيعة الصلة بينها وبين المَثَل — أن نقارنها به، ونحدد ما تختلف به عنه، وما تتفق به معه، من ملاحظة الأمور الآتية:

أولاً: إرجاع علماء العربية الحكمة، ومادة (ح ك م) إلى المنع، وإرجاعهم المَثَل، و مادة (م ث ل) إلى الشبه بشكل عام، وإلى المثال و التمثيل بشكل خاص– وغير خاف ما بين المنع والشبه من تباين، إلا أنّ الألفاظ لا تنحصر دلالاتها على ما اقترض لها من أصول. وقد سبق أن أوضحنا صلة المَثَل الدقيق بكل من المِثال والتمثيل والمَثَل ذاته. والمَثَل من –غير ما شك – وثيق الصلة بالحكمة. فاللغويين أنفسهم كانوا قد نثروا الحكمة: بمعرفة الأشياء على ما هي عليه. وهذا المعنى غير بعيد عن تمثلها تمثلاً دقيقاً.

ثانياً: الأمثال كثيرا ما تجد الفكرة عن طريق الصورة، فهي لهذا تعتمد على التشبيه، والمقارنة، والموازنة، أكثر من اعتماد الحكم عليها، حتى أن كثيرا من الباحثين كانوا قد ذهبوا إلى تفسير الأمثال: بالأشباه، والنظائر، والتمثيل، والتشبيه، والاستعارة التمثيلية، بينما لم تفسر الحكمة بشيء من هذا كله.

ثالثا: الأمثال تربط حاضر التجربة بماضيها (المضرب بالمورد) فهي غير منفصلة عن الحوادث والمناسبات التي أوحت بها، ولا عمَّن وقعت لهم تلك الحوادث، والمناسبات. كقولهم (رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْن). أمَّا الحكم فلا ترجع إلى الماضي — وإن كانت حصيلة تجاربه —

لأنها تنطلق من تلك التجارب، وتعرض عن أصحابها وظروفهم — سواء نسبت تلك الحكم إلى أصحابها، أو لم تنسب — لتكون قواعد عامة مجردة، كقول المتنبي:

شَرُّ البِلادِ: مَكَانٌ لا صَدِيقَ بِهِ وشَرُّ مَا يكْسِبُ الإِنْسَانُ: مَا يَصِمُ[1]

رابعا: الحكم – بوجه عام – تهدف إلى التعليم، والتوجيه، والإرشاد، وبشكل مباشر. فالحكيم في الوقت الذي فيه بحكمته يعلم أنَّها حكمة، ويهدف إلى أن يفيد الناس من حكمته هذه. أما الأمثال فهي وإن أفادت التوجيه فإنه توجيه غير مباشر. – في الأغلب – وغير مقصود لذاته، كما هو الحال في الحكم، إن كل ما يهدف إليه ضارب المَثَل تلخيص التجربة التي تعرض لها، وهو بعد هذا لا يعلم إن كان الذي نطق به مثلا، أو سيكون كذلك، أو لا يكون.

خامسا: الحكم – وإن كانت وليدة تجربة الحكيم و حصيلة خبرته – تتصدر تجاربنا في الحياة، ولا تجيء في أعقابها. ولولا ذلك ، لما أفادت ما تهدف إليه من توجيه مباشر. أما الأمثال فتضرب في أعقاب التجربة، ولا تتصدرها. فالتجربة تجري في حياتنا اليومية –كما يحلو لها – ومن ثم نلخص تلك التجربة في مَثَل.

سادسا: إذا اقتصرت الأمثال – في الغالب – عل ما يجري في الحياة اليومية، فإن الحكم تتناول هذا الذي يتعثر به الناس في حياتهم اليومية، وتتجاوزه إلى أفكار، وخطرات تبعد قليلا أو كثيرا عنه. فالمَثَل أَلْصَق بما يعهده الناس في حياتهم من الحكم. ومن هنا كان شيوع الأمثال في طبقات الناس أكثر من شيوع الحكم.

سابعا: الحكم والأمثال: أقوال مكتملة، لا تقبل الزيادة أو النقصان، وكل زيادة أو إنقاص فيهما يخل بهما، ويذهب بكثير من رونقهما.

ثامنا: كثيرا ما تستعين الحكم، والأمثال بالإيقاع الموسيقي، لتهيء النفوس وتجعلها أكثر استعدادًا لتفهم مضامينها.

تاسعا: تتسم الحكم المأثورة بمثل ما تتسم به الأمثال السائرة من إيجاز واقتضاب. وإذا كانت بعض الحكم قد جاءت طويلة، فالأمثال القصصية لا تقل عنهما طولاً. فالطول لا يكفي وحده لأن يكون فاصلا بين الحكم والأمثال، كما ذهب الأستاذ نور الحق تنوير بقوله:

1- ديوانـــه: 146/4.

((ولكن لا يصح القول إنَّ كل حكمة مَثَل، لأنه قد تكون طويلة مملة، فلا تجذب إليها أفكار الناس، ومن ثم لم تَجْرِ مجرى الأمثال ولا تعد مثلاً))[1]. و مهما يكن من شيء، فالحكمة تلتقي مع المَثَل في بعض الخصائص، إلاّ أنَّها تختلف عنه في خصائص أخرى ليس من اليسير التغاضي عنها، ولذلك فالقول بأنَّ كل مَثَلٍ حكمةٌ، وليست كل حكمة مثَلاً لا يخلو من مجانبة للدقة، والأدق منه ما ذهب إليه علماء العربية الذين عدُّوا الأمثال: الأقوال الموجزة السائرة، الممثل مضربها بموردها، تشارك الأمثال سيرورتها، وذيوعها؛ وتتناول المسائل التي تشغل أذهان الناس، وتحظى باهتمامهم، في حياتهم اليومية أكثر من غيرها من الحكم، فضلا عن مجيئها موجزة، ومعتمدة على الإيقاع الموسيقي. فهذا النوع من الحكم يمكن أن يدنو من الأمثال ويختلط بها ويتداخل معها.

ويمكن أن نلخِّص ذلك في المقارنة بين الحكمة والمثل:

أولا: – ذهب كثير من الباحثين إلى تفسير الأمثال بالتمثيل والتشبيه والامثال والنظائر، والاستعارة التمثيلية، بينما لم يفسروا الحكمة بشيء من ذلك، ولعل ذلك عائد إلى أنّ أو بعضها، تعتمد أكثر ما تعتمد على تجسيد الفكرة وتصويرها، ولهذا نلاحظ فيها المقارنة والموازنة أكثر من الحكم.

ثانيا: – ترتبط الأمثال بمناسباتها ولذلك نحتاج إليها عقب المناسبة أو في أثنائها وهذا ما يجعلنا أحيانا– نحتاج إلى معرفة قصة المثل لفهمه .. بينما لا نلمس ذلك في الحكم .... فهي عبارة عن جمل وجيزة منفصلـة الصلة عن المناسبة التي دعت إليها وإن كانت خلاصة تجربة صادقة مرت بقائلها.

ثالثا: – تهدف الحكم إلى التوجيه المباشر .... بينما لا نلمس ذلك في الأمثال وإن كانت تفيد التوجيه غير المباشر بما تأخذه من عبرة أملتها علينا قصة المثل أو مناسبته[2].

رابعا: – يقرر أبو هلال العسكري أن كل حكمة تسمى مَثَلاً وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلاّ أنّه لا يتفق أن يسير في البلاد فلا يكون مَثَلاً[3].

ويفسر هذا القول الدكتور عبد المجيد محمود بقوله:–

((وهذا يعني أنَّ الشيوع والانتشار وكثرة الدوران على الألسنة هو ما يفرق بين الحكمة والمثل، فالقول الصائب الصادر عن تجربة يسمّى حكمة إذا لم يتداول، ويسمّى مثلا إذا كثر

1- الأمثال في القرآن الكريم وأثرها: 27.
2- الأمثال في القرآن الكريم، محمد جابر الفيَّاض،ص 67 (بتصرف).
3- جمهرة الامثال (على هامش محمع الأمثال) 5/1 (بتصرف).

استعماله وشاع أداؤه في المناسبات المختلفة ويُعرف حينئذٍ بأنّه القول السائر الذي يشبه به حال الثاني بالأول أو الذي يشبه بمورده والمراد بالمورد الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام بالمضرب الحالة المشبهة التي أُريدت بالكلام))[1].

ويطيب لنا هنا أن ننقل تعقيبا لصاحب رسالة الامثال في القرآن الكريم ظهر فيه رأي الباحث ودقته فيه – كما اننا نوافقه على هذا القول:–

((ومهما يكن من شيء، فالحكمة تلتقي مع المثل في بعض الخصائص إلاّ انها تختلف عنه في خصائص أخرى ليس من اليسر التغاضي عنها، ولذلك فالقول بأن كلّ مثل حكمة وليس كل حكمة مثلاً لا يخلو من مجانبة الدقة، والأدق منه ما ذهب إليه علماء العربية الذين اعتبروا الأمثال، الأقوال الموجزة السائرة الممثَّلِ مضربها بموردها، والحكم القائم صدقها في العقول أو السائرة، ذلك لأنَّ هذه الحكم تشارك الأمثال سيرورتها، وذيوعها، وتتناول المسائل التي تشغل أذهان الناس وتحظى باهتمامهم في حياتهم اليومية أكثر من غيرها من الحكم فضلا عن مجيئِها موجزةً معتمدةً على الإيقاع الموسيقي فهذا النوع من الحكم يمكن أن يدنو من الأمثال ويختلط بها ويتداخل معها))[2].

1- أمثال الحديث مع تقدمه في علوم الحديث،د.عبد المجيد محمود ، ص 83، ط1 ، دار التراث القاهرة.
2- الامثال في القرآن الكريم، محمد جابر الفياض، ص68.